دور عناصر التَّماسك النَّصي في ربطِ المعنى في مواعظ الإمام علي الهادِي(عليه السلام)

أ. د. كاظم عبد الله عبد النبي

مدرسة الموهوبين- النجف

The Role of Textual cohesive devises in Connecting Meaning in the Preachments of Imam Ali Al-Hadi (P.U.H.)

Prof. Dr. Kadhim Abdallah Abdul-Naby

ملخص البحث

الموعظةُ كلمات مقتضبة تُعطي معانيَ كثيرة، وهذا النوع من النصوص يحتاج إلى صياغة تجعل نصَّ الموعظة متماسكًا يؤدي مبتغاه في عبارات قصيرة... تناول البحث أبرز عناصر هذا التماسك في مواعظِ الإمام الهادي، فجاءت بمستويات متعددة منها: الرابط المعنوي والرابط المعجمي والرابط النحوي والرابط البلاغي ومن هذه الروابط: (الإحالة) ووردت بنوعيها النصية والمقامية فأغنت النصوص بحسن التواصل، وورد (التضاد) ماسكًا المعنى بين متخالفين، وجاء (التكرار) بأنواعه المختلفة(التام، والجزئي، وشبه التكرار) ليسهم هو الآخر بعملية توافق التركيب ويأتي (الحذف) رابطًا نصيًا بين الجمل بإحالة المحذوف على مرجع، ثُمَّ يأتي التماسك بـ(العطفِ) بين الجمل ليربط العناصر النصيّة والقضايا المتعالقة، وبهذه الآليات انطلقَ تأليف المواعظ وبان تأثيرها العميق في نفس المتلقي.

الكلمات المفتاحية: تماسك، النص، الموعظة.

Abstract

Preachments are short words with various significances. This type of texts needs formulation that makes the text cohesive, clarifies its meaning in short phrases.

The current study deals with the most prominent elements of cohesion in the preachments of Imam Ali Al-Hadi (P.U.H.). It comes in different levels such as: the significant correlation, the lexical correlation, the grammatical correlation and the rhetorical correlation. (Reference) is one of these correlations, with its two types: textual and situational, it enriches the texts with the good communication. (Contrast) comes to connect two different and contradictory meanings. (Repetition) with its different types: (full, partial and semi- repetition), also participates in the structure conforming, in addition to (omission) and (conjunction) that help in connecting the sentences significantly and grammatically.

With these elements, the effect of preachments was so deep on the recipient.

Keywords: Cohesion, Text, Preachment.

التمهيد: مفهوم الموعظة

الموعظة لغةً: ورد لفظ (وَعَظَ) في كتابِ العين وهو يدلُّ على: العِظَةِ أو الموعظةِ، مِنْ وَعَظْتُ الرّجلَ أَعِظُهُ عِظَةً وموعظة: واتَّعَظَ: تقبّل العِظَةَ، وهو تذكيرُك إيّاه الخيرَ ونحوَه ممّا يرقُّ له قلبُهُ[1]، والوَعْظُ - في الصحاح- النُصْحُ والتذكيرُ بالعواقب، تقول: وَعَظْتُهُ وَعْظاً وعِظَةً فاتَّعَظَ، أي قبِلَ المَوْعِظَةَ. يقال: " السعيدُ من وُعِظَ بغيره، والشقيُّ من اتعظ به غيرُه "[2]، والوَاعِظُ: النّاصِحُ، والجَمْعُ وُعَّاظ[3] ، والموعظةُ مصدرٌ ميمي، واتَّضح تعريفها اللغوي في المعجم الوسيط، إذ جاء معناها((مَا يُوعظ بِهِ من قَولٍ أَو فعلٍ))[4] وكما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾[الشعراء:١٣٦]

والموعظة اصطلاحًا: هي كلامٌ يتوجهُ بهِ حكيمٌ صاحبُ خبرةٍ كأنْ يكونَ نبيًا أو رسولًا أو وصيًّا أو إنسانًا اعتياديًّا فتحَ اللهُ قلبَهُ للحكمةِ والبلاغة لنصحِ الناسِ بترهيبهم أو ترغيبهم لأمرٍ ما ليعملوا بهِ أو يتجنبوه خدمةً للإنسان نفسهِ أو تقويمًا لحالاتٍ سلبيةٍ أو تعديلًا لمسارٍ معوجٍّ أو فعلٍ حرامٍ أو مكروهٍ أو لتجنّبِ الشبهات.

ووردت الموعظة في القرآن الكريم في ستةٍ وعشرينَ موضعًا(٢٦ موضعًا)، منها ما علَّمه الله لنبيه محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- من أنْ تكونَ الموعظة بطرائق سهلة لطيفة مستساغة وحسنة ولا سيّما في الحوار، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل١٢٥]

وعلى صاحب الموعظةِ انتقاء الألفاظ المطابقة لمقتضى الحال، وبثها في الزمان المناسب ودراسة نفوس المتلقين وحضورهم النفسي والقلبي وتقبلهم لاستقبال النصح، ويحصل ذلك مِن ذكاء المرسِل وتأملهِ وقوة

بصيرتهِ للتأثير في الناسِ بلغتهِ وبلاغتهِ وبأسلوبه المؤثر وقوّة حجتهِ وصدقهِ في القولِ والعملِ في هدوءٍ وعناية ولين.

وكانَ النبي وآل بيتهِ – عليهم السلام– السراجَ المنيرَ والمنهجَ الصادقَ فكانوا خيرَ داعيةٍ للخيرِ والتهذيبِ والصلاحِ بخلقهم العالي وصدق دعواهم ولين طباعهم وحسن سيرتهم وقوّة صبرهم وتحملهم الأذى الذي يصلُ –أحيانًا– إلى السبِّ والشتم ووصفهم بالخارجين عن الإسلام؛ لذا ذهبَ كلُّ ما فعلهُ السيّئون وبقيتْ نفوسُهم ومواعظُهم ثابتةً ترنُّ في مسامعِ الناسِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

= الروابط النَّصية

المبحث الأول: الإحالة:

من الروابط الدلالية التي تتحقق في النص وتسهم في حيويته واستمراره، فتنتج علاقات لغوية تشترك بعملية التواصل؛ لأنَّ اللغة بطبيعتِها مقترنةٌ((بعملية التواصل؛ فاللغةُ التي لا تتواصل بها ليسَ لها وجود))[٥] في الممارسة التداولية، ويحصل التماسك بالإحالة من خلال إعادة عنصر لغوي على مرجع(مفسر) سابق أو لاحق أو خارج النَّص يساويهِ في الدلالةِ، وبهذا تكون الإحالة كالآتي:

أ– مقامية: تحيل على عنصر(خارج النص)

ب– مقالية (نصيَّة داخل النص) وتقسم على قسمين:

١– قبلية: تحيل على عنصر قبله.

٢– بعديّة: تحيل على عنصر بعدها.

ونستطيع أن نمثّل على ذلك في الآية الكريمة: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة:٧١]

١– (قالَ إنّهُ): مقامية (الهاء) تحيل على مرجع خارج النص(الآية) وهو الله تعالى.

٢- (إنّها بقرةٌ): بعدية(الهاء) تعود على عنصر بعدها وهي البقرة.

٣- (فيها، ذبحوها): قبلية تعود (الهاء) على سابق وهي البقرة.

وتتوزع عناصر الإحالة في الكلام على أنواع منها: (الإحالة بالضمائر، الإحالة بأسماء الإشارة، الإحالة بالأسماء الموصولة.

ومن الإحالة النصية قول الإمام الهادي- عليه السلام-:((ألقُوا النّعمَ بحسنِ مجاورتِها والتمسُوا الزيادة فيها بالشّكْرِ عَليهَا واعلمُوا أنَّ النفسَ أقْبَلُ شيءٍ لِما أُعطِيتْ وأمنعُ شيءٍ لِما مُنِعتْ))[٦]، يحيل الضمير(الهاء) في الكلمات(مجاورتها، فيها، عليها) إحالة قبلية على المرجع(النِّعم) لينهض هذا الضمير العائد بمهام تبيين النعم التي يحسنُ الإنسانُ إنفاقَها وتأديتَها وشكرَها حتى تترسخَ ديمومتُها وزيادتُها على المنفقِ، وهذا الأمرُ لا يُحدده زمانٌ أو مكانٌ وهذا الحضورُ بالإحالة يمثل مكوناتٍ لحركاتٍ ثلاثةٍ تنبعُ من تكثيفِ معاني فضلِ النعمِ وتمكنُ المتلقي من إدراك آليات هذا التكثيفِ الذي يستندُ على حركةِ الإنسان وتحثّهُ على مَهمةِ الإعطاء وتوقع نتائجِهِ المثمرة في جذب محبة الناس وميلهم لحسن المعروف، وتحدد العلاقة التي تسيرُ في حيزِ النِّعمِ باتصالها بتحقق (المجاورة، والتماس الزيادة والشكر)

وفي موعظةٍ أخرى يقول: ((إنَّ لله بقاعًا يَحبُّ أن يُدعى فيها، فيستجيبَ لمَنْ دعاهُ والخَيرُ مِنْهَا))[٧]، وينتقل إلى حالةٍ نصيةٍ تتركزُ فيها فاعليةُ المكانِ في ذهن صاحب الموعظة؛ لذا استهلَ النص بالتوكيد بالحرف(إنَّ) وتبدو معرفة الإمام- عليه السلام- بأهم الأماكن التي يُستجاب فيها الدعاء ومنها حرم جده (الحائر الحسيني)،

فأحال بالضمير الهاء في(فيها) و(منها) على (البقاع) وأحال الهاء في(دعاه) على لفظ الجلالة(الله)مرجع الإحالة.

وتعيين الأماكن جزءٌ من دلالة الموعظة الأقوى، فقد أشارَ إلى أماكن مبهمة وخصص حائر الإمام الحسين- عليه السلام- منها لعلمه بفاعلية المكان الشريف وقربه إلى الله وهذا توجيهٌ خفيٌّ بأهمية زيارة قبور الصالحين ولاسيّما مثوى الحسين- عليه السلام- الذي يمثلُ حضورًا قويًّا في قلوب آل البيت-عليهم السلام- ومحبيهم على مرّ العصور والأيام.

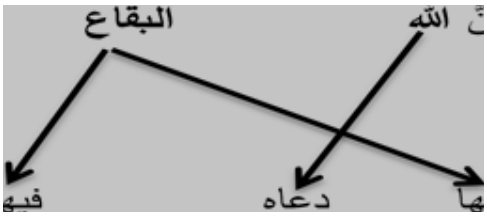

ومن الإحالة بالاسم الموصول يقول: ((الشَّاكرُ أسعدُ بالشِّكرِ مِنْهُ بالنِّعمةِ التِي أوجبتِ الشكرَ؛ لأنَّ النعمَ متاعٌ والشكرُ نعمٌ وعُقْبَى))[٨] تتحقق الإحالة في الاسم الموصول وتكتسبُ حيويتها باتصالين: الأول: في الاسم الموصول نفسه والثاني: الضمير الواقع في الصلة، كما جاء في هذه الموعظة، إذ يأتي الاسم الموصول(التي) الرابط في النص والمحيل على (النعمة)؛ ليكشفَ تقنياتِ الاتصال وبتناسق فضاء الموعظة الايجابي الذي يضجُّ بعلاقات التعايش الاجتماعية الراقية والأخلاق التي يُرجى تحققها في شكر النعم، وعلى وفق رؤية صاحب الموعظة الماثلة في بيئة التركيب العميقة.

وقدْ يُحيلُ بالضمير المستتر عَلى خارج النصّ بإحالة مقامية كما جاء في قوله: ((اذكرْ مصْرعَكَ بينَ يَدي أَهلِكَ، ولا طبيبَ يَمْنعُكَ، وَلا حبيبَ ينفعُكَ))[٩] حينَ يُحيلُ بعنصرٍ لغويٍّ على خارج النص فإنّه يُريدُ توسيعَ نطاقِ الموعظةِ لتشملَ أَكبرَ مساحةٍ وعظيّة تستطيع الإفادة من تجاربها الايحائية فالضميرُ المستترُ في فعلِ الأمرِ(اذكرْ) يشير إلى مخاطبٍ خارجِ النصِّ ويراكمُ

عليه الإحالات بالضمير(الكاف) في الكلمات(مصرعك، أهلك، يمنعك، ينفعك) وهذا التكثيف في الإحالات يحاول من خلالها ايصال إيحاء الكلمات بجعل الموت دائمًا أمام عينيه خشية الزلل في تذكيره بنهايته، فإذا جاء الموت لا يصدّه أحدٌ(لا طبيب ولا حبيب) وهذه إشارة إلى حتمية الموت الذي لا يقفُ أمامه حائل حتى يقف الإنسان متأملًا في دنيا لا تدوم، وارتباط الإحالات بهذه الكلمات دعوى للتنبيه وأخذ الحذر من الغفلة والنسيان.

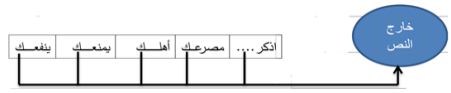

وكذلك يرتبطُ النصّ بأسلوب الشرط بين جملةِ الشرطِ وجوابِها الذي يؤدي دورًا في إيصال معانٍ تربوية وأفكارٍ تقويمية عبر إحالات مقامية غير محددة بمرجع معين حتى تبقى الموعظة مفتوحة في كلِّ مكانٍ وزمانٍ تشمل سائر الناس من مثل قوله: ((مَن أَمنَ مكرَ الله وأليمَ أخذِهِ، تكبّر حتّى يحلَّ بِهِ قضاؤُه، ونافذُ أمْرِهِ، ومَن كانَ على بيّنة من ربّه، هانتْ عليهِ مصائبُ الدنيا، ولو قرضَ ونشرَ))[١٠] وقوله أيضًا:((مَن جمَعَ لَكَ ودَّهُ ورأيه، فاجْمعْ لهُ طاعتَك))[١١] وقوله أيضًا:((مَن هانتْ عليهِ نفسه فَلا تأمن شرّه))[١٢] وقوله أيضًا:((مَن رضي عن نفسِهِ كثر الساخطون عليه))[١٣]

ومن إحالاته المقامية قولُهُ للمتوكل العباسي: ((لا تطلبِ الصفاءَ مِمَّن كدَّرتَ عليهِ، ولا الوفاءَ مَمَّن غدرتَ بِه، ولا النصحَ مِمّن صرفتَ سُوءَ ظنِّك إليهِ، فإنّما قلبُ غيرِكَ لكَ كقلبِكَ لهُ))[١٤] الضمير المستتر في الفعل(تطلبُ) يُحيلُ على مرجع خارج النص(المتوكّل العباسي) ليربط النص بالمرجع ويشيرُ إليهِ في ثلاث نصائح نهى الإمام عنْ القيام بها، إذ قابل المنهيات بالمكروهات، وكل معنى مرتبط بضدّهِ بالعلاقة المناسبة في تعالق

مفهومين يكون طلبُ الشيء غير ممكن لوجود المانع، فهو لا يبلغه لفقدانهِ العمل بهِ وهذا الأمر دعا إلى اجتماع ضدّين مختلفين في النصيحة الواحدة الأمر الذي يجعلُ الإفادة من شيء من دون تحقيق الآخر صعبُ المنال، فلا وجود مع الكدر صفاء ولا مع الغدر وفاء ولا النصح إلى من تسيء الظن بهِ؛ لأنَّ في الأمر تنبيهً إلى التأثير النفسي الذي يقومُ على تعامل الناس بالمثلِ،

المرجع خارج النص	مواضع النهي	السبب	الحكمة والنتيجة
المتوكّل العباسي	لا تطلب الصفاء	كدّرت عليه	قلب غيرك كقلبك إليه
	لا تطلب الوفاء	غدرت به	
	لا تطلب النصح	سوء ظنّك	

وقد تأتي الإحالة على خارج النّص كذلك، كما في قوله: ((مَنْ هَانَتْ عليهِ نفسه فلا تأمن شرّه))[١٥] (مَن) اسم شرط يحيل على عنصر مجهول خارج النص، وهو يصلح لأيِّ إنسان يرضى بالهوان، مستمرٌ عليه ولا يُرتجى منه خير... ويكثر هذا الأسلوب (الشرط) في مواعظ الإمام الهادي-عليه السلام-، ويقول أيضًا: ((مَن أقبلَ معَ أمرٍ ولِي معَ انقضائِهِ))[١٦].

المبحث الثاني: التماسك بالتَّضاد

أسلوبٌ يحاول من خلاله المبدع الإفادة في إحداث التماسك في كلامه؛ لوجود العلاقة بين الشيء وضده، وهو من الوسائل المعجمية التي يستعملها المنشئ لتقوية الربط في كلامه الفني؛ لأنّه ((استعمال كلمة في سياق ما ثُمَّ يُؤتى بأضدادها في جملةٍ تالية))[١٧]، وقد ينضوي تحت هذا المفهوم المصطلحات الآتية: (الطباق، المقاسمة، التكافؤ، المخالفة، التناقض، التقابل) ويرى بعض البلاغيين أنَّ التضاد أكثر فاعلية في هذا النوع من الأسلوب البلاغي؛ لدلالته على الخلاف[١٨]، ولا نعني بالتضاد اللغوي الواقع في كلمة واحدة، وإنّما ذلك الذي يحمل معنيين متضادين كـ(أسود ≠ أبيض، أو طويل ≠ قصير) ومن التضاد الذي جاء في مواعظ الإمام الهادي-عليه السلام- :((من اتَّقَى اللهَ

يُتْقَى، ومَنْ أطاعَ اللهَ يُطاعُ، ومَنْ أَطاعَ الخالِقَ لَمْ يبالِ سَخَطَ المخلوقين، ومَنْ أسخطَ الخالقَ فليتيقنْ أنْ يحلَّ بهِ سخطُ المخلوقين))[١٩] الموعظة تتحدث عن إطاعة الله- تعالى- وتقواه وطلب رضاه وتتسلسل تفاصيل الموعظة حتى تصل إلى نهاية المعنى بتوظيف التضاد في الجملتين التي تضمنت (الخالق× المخلوقين) الذي جعل فيه سخط الخالق مقدمة إلى سخط المخلوقين، وهذا يعني ذوبان الفرد في المجتمع الإنساني بعمله الصالح النافع الذي يرضي الله ويرضي عباده، وجاء قريب من هذا المعنى في (صحيح ابن حبان) عن عائشة قالت: قَالَ رَسُولُ اللهَّ -صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ-: ((مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللهَّ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ الله تعالى عَنْهُ وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهَّ سَخَطَ اللهُّ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عليه الناس))[٢٠] وجاء الربط - في الموعظة - كالآتي:

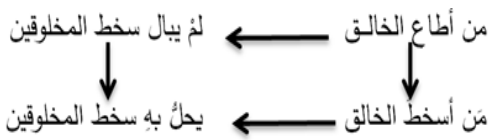

ومن التضاد قوله - عليه السلام-: ((إنَّ اللهَ جعلَ الدُّنيَا دارَ بَلْوَى والآخرةَ دارَ عُقْبَى وَجَعَلَ بَلْوَى الدُّنيَا لثوابِ الآخرةِ سَبَبًا وَثوَابُ الآخرةِ مِن بَلْوَى الدُّنيَا عِوَضًا))[٢١] يقابل الإمام الهادي- عليه السلام- بأسلوب التضاد بين ندَّين اتخذهما منطلقًا لعقد الصلة، إذ جعلَ الدنيا بمواجهة الآخرة ورشّحَ التضاد ليكشفَ ما يصدر عن دار الدنيا من البلاء والاختبار وهو يصور تعويض ذلك البلاء بثوابٍ يمنح في دار الآخرة، وهذا ربطٌ يبعث في النفس التفاؤل في الصبر على غصص الدنيا وتجاوز محنِها، وقد أسس ذلك من خلال تماسك الجملتين المتضادتين برباط معنوي:

الجملة١	التضاد	الجملة٢
جعل الدنيا دار بلوى الترشيح/بلوى الدنيا لثواب الآخرة سببًا	⟷	وجعل الآخرة دار عقبى الترشيح/ثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضا

وفي كلا الحالين المتضادين نجد اللهَ- تعالى- واسعَ الكرم على عبده، وسخيًّا في وعده ولم يتخلَّ عنه، وهي رحمة يتصف بها الباري-عز وجل- من دون غيره. وغالبًا ما تكون مواعظ الإمام الهادي متصلة بجذور من نصوص سابقة لمواعظ أجداده، فقد وردت هذه الموعظة في كتاب (بحار الأنوار) من ضمن حديث للنبي-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ-عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله- يقول: ((أيُّها الناسُ هذِهِ دارُ ترحٍ لَا دارَ فَرَحٍ، ودارَ التواءٍ لَا دارَ استواءٍ، فَمَنْ عرفها لم يفرح لرجاء ولم يحزن لشقاء، ألا وإنَّ الله خلق الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبى، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سببا، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضا، فيأخذ ليعطي ويُبتلى ليجزي، وإنها لسريعة الذهاب ووشيكة الانقلاب فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها واهجروا لذيذ عاجلها لكربة آجلها ولا تسعوا في عمارة قد قضى الله خرابها ولا تواصلوها وقد أراد الله منكم اجتنابها فتكونوا لسخطه متعرضين، ولعقوبته مستحقين))[٢٢] وعلى هذا يكون الأخذ من الحديث النبوي هو إعادة لمقولة سامية وإدامة اشتغالها في الوسط الإنساني بحكم تأثيرها الايجابي وعمقها الروحي في النفس الإنسانية، وكذلك بيان مدى تأثر الأمام الهادي- عليه السلام-بآثار أجداده.

وفي توظيف التضاد يقول الإمام الهادي- عليه السلام-: ((الدنيا سوقٌ، رَبِحَ فيها قومٌ وخَسِر آخرون))[٢٣] ويبدو التضاد واضحًا وهو يربط بين الجملتين المتقابلتين(ربح قومٌ)و(خسر آخرون) في لفظتي(ربحَ ≠ خسر) والنصّ يعبر عن العمق في استلهام الأحداث وانتقاء الوقائع واختزالها اختزال مجرّبٍ يكتري الحكمة من واقعه، وتشبيه الدنيا بالسوق ينقل

الذهن إلى صورة تعجُّ بالحركة والأخذ والعطاء، وتبادل الأدوار في النفع والضرر(الربح والخسارة) المتمثلة في اجتماع التضاد المستقى من أحد عناصر البيئة(السوق) المرتبط بحياة الناس، وبهذا فالتضاد ينفتح((على معانٍ عديدة يشترك في تشكيلها المبدع والمتلقي معًا))[٢٤]، فجاء التضاد مكللا بالحكمة الرامية إلى كيفية الخلاص من شرِّ الدنيا والنأي عن مزالقها.

ومن تماسك النص في الموعظة التي يربطها التضاد قوله - عليه السلام-:((الناس في الدنيا بالأموال، وفي الآخرة بالأعمال))[٢٥] يدور المعنى حول تضادين(الدنيا ≠ الآخرة) و (الأموال ≠ الأعمال) في جملتين مرتبطتين بالمعنى بهدف تعميق الفكرة وتأطيرها بتأثير جمالي؛ لأنَّ السّمة الغالبة في التضاد((هي قدرتها على تحقيق قيمة جمالية عن طريق المعاني لا عن طريق الشكل))[٢٦] وبناء النص بهذا الشكل أعطى للمعاني متسعًا لتأثير الكلام وهيمنته في ذهن المتلقي، وجاء البناء ليربط معنيين مع ضديهما وهو ما يسمى بالبلاغة العربية بـ(المقابلة) وبها يكون الربط النصي أقوى لاتصال الجمل بأكثر من تضاد، فكما ينعم الإنسان في الدنيا بماله غير أنّ هذا المال لا يستمرُ فى الآخرة وإنما

الجملة	التضاد	الدلالة
١- الناس في الدنيا بالأموال ٢- وفي الآخرة بالأعمال	الدنيا≠ الآخرة الأموال≠ الأعمال	الدنيا+ المال= زائلة الآخرة+ الأعمال= باقية

ويربط الموعظة بأكثر من تضاد في قوله: ((المصيبةُ للصابرِ واحدةٌ، وللجازعِ اثنتان))(٢٧) ، فجاء النص

المصيبةُ للصابرِ واحدةٌ		وللجازعِ اثنتان	
١	٢	١	٢

اختلف العدد بين الجملتين: (واحدة) و(اثنتان) لاختلاف المعاني المرتبطة في قوله: (للصابر) و (للجازع) فمع الصابر تخفف وطأة المصيبة فتصلُ إلى النصف مما يعانيه الجازع، الذي يدفع ثمن جزعه بتراكم المصائب

لبعده عن التحمّل والرضا بما يصيبه، فجاء النص معبَّأً بالتخالفات اللفظية؛ لأنّها ((تنتج المعنى وتخلقه خلقًا جميلًا، وهي دائمًا مرتبطة ومتلاحمة مع السياق الكلي للنص غير منعزلة أو نائية مرتفعة عنه))[٢٨]

وقال- عليه السلام-: ((إنَّ الظالمَ يكادُ أنْ يُعفى على ظلمهِ بحلمهِ، وإنَّ المحقَّ السفيه يكادُ أنْ يُطفئ نورَ حقِّهِ بسفههِ))[٢٩] وهو من التضاد الذي يتم بالأسلوب الخبري، ومن هذا التضاد الممتد على مستوى النص بأكمله، يتجلى التضاد الاسمي الكبير بينَ(الحلم ≠ والسفه)بوصفهِ محور المعنى وتتفرع من هذه الثنائية تضادات تقوّي الدلالة المركزية، وقد أراد الأمام أن يؤكد فضيلة الحلم ومدى فاعليتها على المستوى الاجتماعي والأخلاقي، فجاءت بالأسلوب الخبري(الطلبي) المؤكد بحرف التوكيد (إنّ) بين الجملتين بفعل بنائها الموقعي وترتيبها الأفقي النصي؛ فإنَّ((الكلمات إلى جانب القيمة الموقعية الجدولية في النظام الدلالي قيمة موقعية أفقية أيضًا))[٣٠]، وكأنّه يريد أنْ يثبت هذا الفعل المهذّب في التعامل مع الناس وهي صفة يتسمُ بها آل البيت جميعهم بحيث جعلَ (الظالم) يكاد أن يضحي بحلمهِ على ظلمه بخلاف ضده(المحقّ) الذي يكاد يفقد حقّه بسفههِ وصبّ هذه المعاني في تركيب يتعالق فيه التضاد الأصلي مع الأصلي والتضاد الفرعي مع الفرعي المتعلّق بالتضاد النواة ليتم رسم صورة محببة للحلم عند الناس.

التضاد الأصلي	التضاد الفرعي	نوع التضاد
الظالم ≠ المحقّ	الحالم ≠ السفيه	تضاد اسمي
	بحلمهِ ≠ بسفهه	تضاد اسمي

ومن حكمه في الغضب قال- عليه السلام-: ((الغضبُ على مَن لا تملك عجزٌ، وعلى مَن تملكُ لؤمٌ))[٣١] فالتلازم في بنية النفي(لا تملك) وبنية الإثبات(تملك) في تضاد السلب

حدد نتيجة الغضب الذي لا يجدي في الموضعين، أي مع (العجز واللؤم) وهو استنطاق للغة لتثبيت معانٍ يحملها الباث بوساطة التراكيب اللغوية؛ لأنّ مهمة اللغة((توصيل رسائل من خارج اللغة))[٣٢] فحصل التماسك بين الضدين فضلًا عن الربط الثاني عن طريق التكرار في لفظ (تملك) وهي أساليب لها السلطة في مسك المعنى وتأثيره، وهذا يمكن المنشئ من إيصال تجربته الحياتية بمساعدة عناصر الإمتاع في التركيب السياقي فالمواعظُ خلاصةٌ لتجربةٍ تفيض مِن صاحبِها.

المبحث الثالث: التماسك بالتكرار

يعدُّ التكرار من الأساليب المهمةِ في ربط النص، وهو من المرتكزات التي لها المزية الكبيرة في انطلاق المعنى وترسيخه في المبنى اللغوي وتقوية أواصر النص وعمقه الدلالي، وتوظيف هذا الأسلوب شائع في اللغات، ووردَ قديمًا في الآثار اللغوية والنحوية والبلاغية، استعمله الشعراء والخطباء في عصر ما قبل الإسلام وجاء في القرآن الكريم وهو يرمي إلى مقاصد وغايات مختلفة، يحددها النص وطرائق تركيبه.

ويأتي التكرار أو التكرير في المعجماتِ العربيّةِ وهو يدلُّ على معانٍ لعلَّ أقواها هو (الرجوع) فتكرر الرجلُ في أمرهِ تردد... والكركرة: تصريفُ الرياحِ السحابَ إذا جمعته بعدَ تفرّقٍ[٣٣]، ويرى أبو هلال العسكري(٣٩٥هـ) أنَّ((التكرار يقع على إعادة الشيء مرةً وعلى إعادتهِ مرَّات))[٣٤] وهذا المعنى هو السائد.

ويرد التكرار في استعمالاته الأسلوبية عند القدماء ليدلّ على معانٍ يحددها ابن الأثير(٦٣٧هـ) فيقول: التكرير((دلالة على المعنى مردداً))[٣٥] وعنده أنَّ التكرار يأتي على نوعين ما كان لفائدة أو لغير فائدة، وعمّقَ دراسته فيه وتناولَ آياتٍ من القرآن

الكريم، فيقول عمَّا وردَ في قوله تعالى: ((بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ))[الفاتحة] يقول: ((فكرر "الرحمن الرحيم" مرتين والفائدة في ذلك أنَّ الأول يتعلق بأمر الدنيا، والثاني بأمر الآخرة، فما يتعلق بأمر الدنيا يرجع إلى خلق العالمين في كونهِ خلق كلًّا منهم على أكمل صفة وأعطاه جميع ما يحتاج إليه حتى البقَّة والذباب، وقد يرجع إلى غير الخلق كإدرار الأرزاق وغيرها، وأمّا ما يتعلق بأمر الآخرة فهو إشارة إلى الرحمة الثانية في يوم القيامة الذي هو يوم الدين))[٣٦] ويعزو هذا التكرار-وبحسب النص- إلى (التعلُّق) أي ما يطلق عليه حديثًا بترابط النص عن طريق ربط المعاني بأمرين: الأول: تعلُّق المعنى بأمور الدنيا وسعة رحمة الله على الإنسان في قضاياه كافةً، وتعلّق الثاني: بما يخصُّ عطاءَه- تعالى- في يوم القيامة، وقد حدث التواصل بينَ المكرر ومرجعهِ في وحدة كبرى وفي نقطة التقاء وإحاطة وهي الرحمة الإلهية.

وضربَ لنا مثلًا آخرَ مِن التّكرار الذي تربطه علاقةٌ في التعبيرِ عن طريقِ المسار اللغوي في قولهِ تعالى: ((كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠))[الشعراء] وفي تكرار هذه الآيات في قوله: (فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ) يقول: ((ليؤكده عندهم ويقرره في نفوسهم، مع تعليق كل واحد منهما بعلة، فجعل علة الأول كونه أمينا فيما بينهم، وجعل علة الثاني حسم طمعه فيهم، وخلوه من الأغراض فيما يدعوهم إليه))[٣٧]، إذًا فثمّة تعالق بين طرفي التكرار وكلٌّ جاءَ لعلّةٍ تتعلقُ

بالنبي (نوح)- عليه السلام-وتكرر هذا النمط لغاية أسلوبية فسرها (ابن الأثير) بـ(تعالق العلل)، وهذا من التكرار المحض في النص. ومن التأمل في كلام (ابن الأثير) نجد أنَّهُ لم يقتصر على ذكر أسلوب التكرار بوصفه رابطًا للنصوص بل تعاملَ معَهُ بكونه رابطًا للمعاني وهذا ما سار عليه معظم القدماء من البلاغيين والمفسرين[٣٨].

وفي الدراسات النصية الحديثة أدرجَ الباحثون التكرار من ضمن المستوى المعجمي الذي يساعد في تماسك النص، ويحدانه بأنّه((أية حالة تكرير يمكن أنْ تكون الكلمة نفسها أو مرادفًا أو شبه مرادف أو كلمة عامة أو اسمًا عامًا))[٣٩]، ويعدّ - بحسب رأي شارول- ((من الروابط التي تصل بين العلاقات اللسانية))[٤٠] وتوفر لها سبلَ التواصل بين المكونات اللغوية.

أولًا: التكرار التام:

وقد يطلق عليه الخالص أو المحض[٤١] أو المطابق، فهو التكرار الصافي الموافق للمكرر، وعلى الرغم من مهام التكرار وفاعليته الدلالية، فهو يشترك في بناء التواصل في الكلام وربط أجزائهِ سواء كان التكرار جملة أو حرفًا أو كلمةً أو عبارةً، ودراسة ظاهرة التكرار في مواعظ الإمام الهادي- عليه السلام-تمكننا من الوقوف على دقائق المعاني المبثوثة في تلك المواعظ وكشف أسرارها والحكمة من استعمالها.

يقول الإمام الهادي- عليه السلام-: ((راكبُ الحرونِ أَسِيرُ نفْسِهِ، والجاهلُ أَسِيرُ لسانه))[٤٢] يقدّم لنا الأمامُ الموعظة على هيأة الموازنة بينَ معنيين بينهما علاقة تمثلها الإحالة التكرارية فكوّمَ المعنى عن طريق التكرار التام لكلمة(أسير) الذي جاء خبرًا في الجملتين؛ ليرسم لنا لوحة طرفها(راكب الحرون) وهي الدابة التي تقف عندما يُطلب جريها وترفض الانقياد بلزومها المكان، فيكون راكبها

قد قيّدَ نفسَه، كذلك الجاهل وهو انتقال بالمعنى الذي يُسقط بحركتهِ الفرق بين الفعلِ المحسوس(راكب الحرون) والمعنوي(الجاهل)، فجاء التكرار ليظهر دلالات النص بفاعلية الالتحام بين الجملتين فضلا عن العطف الذي دعمَ حركة التكرار الاتصالية، وهذا أسهم في إنتاج كلام معبّرٍ وُظِّفَ توظيفًا فنيّا أظهر العمق في سعة التجربة، وحقق التأثير المناسب في إرسال الحكمة إلى وعي المتلقي في إحكام المبنى اللغوي وأصالة الفكرة وهذا يدلُّ على ((أنَّ العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له))[٤٣] واعتنت بترتيبهِ.

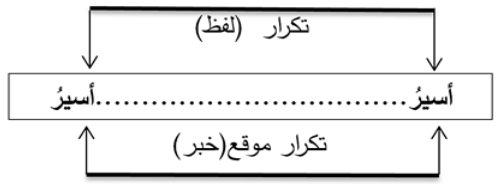

ويقول - عليه السلام-: ((الغضبُ على مَنْ لا تملك عجزٌ وعلى مَنْ تملكُ لؤمٌ))[٤٤] من الموعظة يستخلص المعنى، ويمارس نشاطه ليصل إلى توجيه سلوك معيّن في البيئة الإنسانية ونبذ الطباع الهجينة من السجية الإنسانية، فالغضب - غالبًا- ما يحوّل الإنسان إلى نمط خارج عن طبيعته لدوافع معقدة ترعاها نواقص في النفس، وهي أمورٌ تتحكم فيها النشأة والثقافة وحسن الخلق، وهذه الموعظة تحدد نتيجتين للغضب(العجز= الضعف) و(اللؤم= شحة النفس ودناءة الأصل) وكلاهما طعن بالفضيلة والخلق الكريم الذي ينشده صاحب الموعظة وآل البيت عامة، ووردَ التكرار بالفعل المضارع صلة الموصول(تملك) في النفي والإثبات(لا تملك+ تملك) وتكرار حرف الجر والاسم الموصول(على+ مَنْ) وهذا يحدد المآل من غضب الإنسان في الحالين التي حددهما الإمام- عليه السلام-وهذا التركيب الاتصالي في النص غرضه إثارة السلوك

الايجابي وترسيخه لدى المتلقي والرغبة في تغيير الواقع بأساليب فنية تهيء له الاستطاعة ((أن يجعل المثيرات قادرة على إحداث الاستجابات المرغوب فيها))[٤٥] وهذه بغية أصحاب المواعظ.

وقال – عليه السلام–: ((المِراءُ يفسدُ الصداقةَ القديمةَ، ويحلّل العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن تكون المغالبة والمغالبة أسُّ أسباب القطيعة))[٤٦] (المِرَاءُ) في كتب اللغة تعني الشكَّ أو الجدال، أو قد يرد بمعنى الطعن في كلام الناس لغرض تقليل شأن إنسان والحط من قدره[٤٧]، وذم المراء في هذه الموعظة توجيهٌ لمبدأ أخلاقي يستميل النفس إلى طرق الصلاح بالاتساع النصي لتبيين الخطوط المؤدية إلى مساوئ هذه الصفة(يحلّل العقدة الوثيقة، المغالبة) وكلَّل كلامَه باستنطاق الأشياء بصورتها اللغوية وعمقها الدلالي، إذ جعلَ من التكرار التام بكلمة (المغالبة) مثالًا لنبذ فضاءات كلِّ صفة ممقوتة بالتنبيه إلى مخلفات تلك الصفة(المراء) والتي ختم آثارها بالمآل المقفر وهي(القطيعة) التي تمثل آخر المطاف وباستحضار أسلوب التكرار بوصفهِ أداةً ذات صبغة تعبيرية تتشابك بتوظيفها المعاني وتستبطن سمات آثار(المِراء) بإطار دلالي يكون فيه القليل مرًا.

وهذا الغوص في النفس البشرية التي حققتها الموعظة متأتٍ من اتساع تجارب الأمام– عليه السلام– الاجتماعية وخبرته بالأنساق الثقافية التي ترفض كلَّ نقصٍ وانحراف بالعلاقات الإنسانية.

ومن التكرار الخالص الذي ورد في المواعظ قولهُ– عليه السلام–: ((إِنَّ اللهَ جَعَلَ الدُّنيَا دارَ بلْوى والآخرةَ دارَ عقبى، وجعلَ بلوى الدنيا لثواب الآخرة سببًا، وثوابُ الآخرة من بلوى الدنيا عوضًا))[٤٨] في النص موازنة

بين عالمين(عالم الدنيا والآخرة) تدور حولهما المعاني والفاعل المتحكم فيهما هو الله-تعالى- وهذه الموازنة جرت في تراكيب متناسقة تنسجمُ مع مقاصد الموعظة المنبعثة من العلاقات بين الأبنية اللغوية ويطفو التكرار بوصفه واحدًا منها، وقد جاء في النص على وفق الآتي:

الدنيا= (٣مرات) بقدر تكرار الآخرة= (٣مرات) وتكرار دار= (مرتين) واحدة للدنيا والثانية للآخرة، وكرر البلوى=(٣مرات) مقرونة مع الدنيا، بخلاف كلمة ثواب=(مرتين) مع لفظ الآخرة، وهذا يدلُّ على أنَّ الدنيا دار ابتلاء يُجنى ثوابُه في الآخرة، وهذهِ التكرارات جعلت نص الموعظة في وحدة مترابطة تقوِّي من تقارب الدلالات في صياغاتها الايحائية، ولعلَّ ذلك جاءَ من سرِّ توظيف التكرار التام بهذه الصيغة التراكمية.

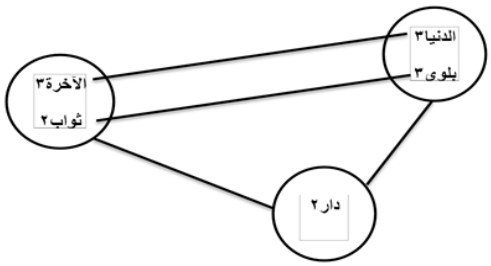

(تكرار اللفظة وتعلقها)

ثانيًا: التكرار الجزئي : وهو أن تكون العناصر اللغوية مختلفة في التركيب ومتحدة في الجذر اللغوي(علم، يعلمُ، معلوم..)[٤٩]، ويحملُ التكرار الجزئي وظيفةَ التواصلِ بين الكلام؛ وذلك لما يحويه من اشتراك بين حروف الكلمات وعودتها إلى الأصل(الجذر اللغوي) . ومن التكرار الجزئي قول الإمام الهادي- عليه السلام-: ((مَن جمعَ لك ودَّه ورأيه، فاجمع له طاعتك)) [٥٠] التكرار الجزئي جاء في تكرار اللفظين(جمع، وأجمع) العائدين إلى جذر الفعل(جمعَ) وهذا الربط ينعم بأسلوب الشرط الذي جاء به المكرر في جواب الشرط(فاجمع)، فكانت التراكيب النصيَّة تتواشج فيما بينها

لتقوم الموعظة بإلقاء مهامها في عملية الترغيب في أيسر الصور الموضحة للصفات البشرية الحميدة، فالإخلاص في الطاعة تكون لمن يظهر الودَّ المشفوع بالرأي وهذا المعنى ينمُ عن تصوَّر كامل لسبر أعنّة اللغة وعصر معانيها لتبيين العلاقة بين الفرد ومن يصاحبه وهو تمحيص وإحاطة بشركاء الحياة.

ومن التكرار الجزئي قوله: ((الشاكر أسعدُ بالشكر منه بالنعمةِ التي أوجبت الشكر؛ لأنَّ النعم متاعٌ والشكرُ نعمٌ وعقبى))[٥١] يعالج النص فضيلة الإحسان بوصفها حسنةً من حسنات الأخلاق، الذي يمثل الشكر على النعم، وبتأمل النص نرى التركيز على الشكر الذي يُعدُّ من السبلِ التي تجلبُ السعادة، وهو أكثر فاعلية من سعادة النعم وقد فاق الشكر- هنا- بمرتبة أعلى من النعم؛ لأنّ له صفتين(النعم، والعقبى) وجاء التكرارُ الجزئي والتام بالكلمات(الشاكر١، الشكر٢) ليرسخ سلوك هذه الظاهرة التي لا تخلو من مكارم الأخلاق، فالشاكر للنعم يشعر بالسعادة أكثر من تمتعه بالنعم نفسها التي وردت(النعم٢، النعمة١) وهذا حثٌّ على تبنِّي الأعمال المحفزة لديمومة العلاقات القائمة في المجتمع.

تكرار الشكر	الشاكر	الشكر	الشُّكر
	↓	↓	↓
تكرار النعم	النعمة	النعم	نعم

ويحثُّ- عليه السلام-على طريق الصلاح فيقول:((لو سَلَكَ الناسُ واديًا وشُعَبًا،لسلكتُ وادِيَ رجلٍ عبدَاللهِ وَحْدهُ خالصًا مخلصًا))[٥٢] ترشدُ الموعظةُ إلى تعميق سلوك الطريق الصالح والتركيز على الفضائل الموروثة في مجتمع قائم على الانتماء للدين الإسلامي الحنيف، وهذا النص لا يختص بتصوير الأنا الفردية لدى الإمام- عليه السلام-بلْ هو تحفيز إلى ردم التصدّع الحاصل في سلوك كثيرٍ من البشر في قضية وحدة الله- تعالى- والإخلاص في نبذ هوّة

الشرك والموجات التي كانت تكتنف المجتمع، ولكي يجعل هذا التوجه سائدًا مستساغًا أمعنَ في توظيف التكرار الجزئي مرتين: (سلك- سلكتُ) و(خالصًا- مخْلصًا)

ولعلّه يقصدُ بقولهِ: (رجل عبدَ اللهَ...) جدَّه محمد-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ- ليؤكد هذا الانتماء الحتمي والطريق الثابت مبتعدًا عن طُرقِ الناس وشعبها وأهوائها، وهذا ليس فخرًا بـ(الأنا)المنفردة؛ ولكنَّه حركة لغوية تُنبئ بحالة الثبات والمبدأ في العقيدة؛ لأنَّ اللغة((تُفجّرُ طاقاتٍ لا حدود لها))[٥٣]، وقد جاء باسم الفاعل(خالصًا) من الفعل الثلاثي(خلصَ) وجاء باسم الفاعل(مخلصًا) من الفعل الرباعي(أخلصَ) والفعلان يعودان إلى جذر لغوي واحد في موقع الحالين المتجاورين والغاية من ذلك تقوية موقفه وثبات قدمه على السبيل الصحيح، وموجهًا لغيره في العمل.

ثالثًا: شبه التكرار: وهو ضربٌ من التكرار لا يقوم على إعادة العنصر المكرر وإحالته على المرجع نفسه، ولكن يعود على عنصرٍ يشابهه في التركيب وهو غالبًا ما يتحقق((في التشكيل الصوتي))[٥٤] وهو في ذلك يشبه الجناس الناقص ويستعمله مؤلّفُ الموعظةِ لربطِ الكلام وتأثيره في نفس المتلقي، يقول- عليه السلام-: ((خيرٌ من الخيرِ فاعِله وأجمل من الجميل قائله وأرجح من العلمِ حامله، وشرٌّ من السوءِ جالبه، وأهول من الهولِ راكبه))[٥٥] تتكرر الألفاظ بين الجمل على وفق الآتي:

١- (خير، أجمل، أرجح، شرَّ، أهول) ..... تكرار صيغة (أفعل التفضيل)

٢- (فاعِله، قائِله، حامله، جالبه، راكبه)..... تكرار (شبه الترادف)

فثمّة تزاحم في التكرار، وتفاضل في الأعمال لوضع اللبنات الأساسية

التي تكون وظيفتها تشجيع الصفات الإنسانية وتنظيم عملها، فيكون فاعل الخير أفضل من الخير نفسه والقائل بالجميل أفضل من الجميل وحامل العلم كذلك، ثمَّ يقابل هذه المعاني بأخرى مضادة فجالب السوء شرٌّ من السوءِ نفسه وكذلك راكب الأهوال وهذا التوزيع في المعاني، وتماسك وحدات النص بتأليف متسق حقق فضاءات واسعة من إدراك المغزى من الموعظة التي فارقت صاحبها وأصبحت نصًا مكتوبًا يستنتجه المتلقي من خلال الكلمات؛ لأنَّ النص((فعل كتابي أو عدّة أفعال كتابية))[٥٦] تؤدي أدوارا توجيهية

فاعل الخير+ قائل الجميل+ حامل العلم= ٣ أفعل خير

جالب السوء+ راكب الهول= ٢ فعلا شرّ

المبحث الرابع: التماسك بالحذف

من الأساليب اللغوية التي يلجأ إليها الباث لغرض الايجاز؛ قطع شيء من النص، أو لغرضٍ فنيٍّ ينشدهُ المتكلم ليضفي على نصّهِ الجمال والتأثير؛ وذلك بمشاركة المتلقي في استكمال المعنى ومِلْءِ فراغ المحذوف؛ إذ ((لا قوامَ للبحث إلّا بالمخاطب وكذا الشأن بالنسبة إلى سائر ما يأتيه المتكلم))[٥٧] لأثارة المخاطب.

وتناول علماء العربية ظاهرة الحذف وأولوها أهمية كبيرة وفصلوا في أنواع الحذف، كحذف حرف أو كلمة أو جملة...وقسموه على أقسام كثيرة حذف(وجوبي وجوازي)، والحذف بوجود قرينة أو عدم وجود قرينة... وتناولوا أسباب الحذف فظهر عندهم ما كان للتعظيم وللتهويل أو العموم والشمول أو لرونق الكلام وبهجته... وتعمّقوا كثيرًا في دراسته وأشادوا بجماله ودقّة أسراره[٥٨]، ولكنهم لم يدرسوه بوصفه يمثل رابطًا نصيًّا بين الجمل أو في أثناء النص كما درسه النَّصيون إلّا في إشارات قليلة[٥٩].

والحذف في الدراسات النصية

الحديثة يُمثلُ نوعًا من الاتصال الذي يحدثُ في تراكيب النص((فمعظم أمثلته تُبين أنَّ العنصر المحذوف موجودٌ في النص السابق مما يعني أنَّ الحذف ينشأ علاقة قبلية))[٦٠] وهو لا يختلف عن الاستبدال كثيرًا غير أنّه استبدال بدرجة الصفر[٦١]، أي(مذكور)+ فراغ(.....) يملأه المتلقي في معنى متصل يأخذ بنظر الاعتبار((القرائن المعنوية والمقالية... لأنّه يُدخل السياق والمقام في أساسيات الحذف))[٦٢]، فالنص محتوى متكامل من المؤثرات اللغوية والمقامية ووحدة السياق الكلية.

ومن الحذف يقول الإمام الهادي-عليه السلام-: ((لا تطلبِ الصفا فيمن كدَّرت عليهِ، ولا النصح فيمن صرفت سوء ظنَّكَ إليهِ فإنَّما قلبُ غيركَ لكَ كقلبكَ لهَ))[٦٣] يستهلُ الموعظة بنسق الطلب(النهي: لا تطلبْ) في مقاربة المعنى الذي يمنحه هذا الأسلوب؛ ليرسم له الانتماء إلى أنْ يتخذ مِن مبدأ التعايش دعامتين رسّخها في هذا الطلب المتكرر فطلب الصفا مرهون بعدم تكديرِ أحدٍ وهو إذ يسير في طلبه إلى طلبٍ آخرَ حذفَ الفعل معه(لا تطلبِ النصحَ) ليتعاضد المعنى مع من سبقه، وهو نهي عن كدر الناسِ وسوء الظنّ بهم في كلِّ الأحوال، وهذه المعاني تفسِّر ما أراده الباث في انصهار الناس في الأخلاق الكريمة والمشاركة في الإنسانية، فجاء الحذف ليربط بين المعنيين المهمين والإفادة من معطيات النهي، وهذان البعدان(لا تطلب الصفا)+ (الحذف) مع النصح) يُوحيان إلى بناء عوالم للعَلاقة بينَ بني البشر تقوم على نقاء القلوب وحسن معاملة الناس.

(لا تطلبِ الصفا) + ولا ..... النصحَ)

وقال أيضًا: ((الحسدُ ماحِقُ الحسنات، والزهوُ جالبُ المقت،

والعجب صارفُ العلم، داعٍ إلى التخبّط في الجهل، والبخلُ أذمُّ الأخلاق، والطمعُ سجيةٌ سيِّئةٌ))[٦٤] تتكرر المفردات الدالة على ذم بعض السجايا التي تخرّب فطرة الإنسانية للكشف عن مساوئ تلك الصفات الذميمة والأمراض النفسية التي تفطن لها الإمام- عليه السلام-وأراد إلقاء الضوء عليها في حدود أبعاد الموعظة التي تحثُّ على بناء الإنسان وتعميق الأخلاق المثالية درءًا لمغادرة نواقص الحياة من وعي الناس وتوصيفًا لنمط مكروه يجب الانفكاك منه.

وبتفكيك النص يظهر أنّه فصّل ووضَّحَ لكل صفة مذكورة ما يؤول منها من أضرار وهي كالآتي:

١- الحسد= ماحق الحسنات

٢- الزهو= جالب المقت

٣- العجب= صارف العلم+ داع إلى التخبط في الجهل

٤- البخل+ أذم الأخلاق

٥- الطمع= سجيّة سيئة

ونلحظ من تعدد الصفات أنّه فصَّلَ في لفظ(العجب) أكثر من غيره، إذ ذكره مرة وأحال عليه بالحذف مرّةً أخرى(داعٍ إلى التخبط) وهذا يُنبئ عن تركيز الإمام على نبذ هذه الصفة التي تدعو إلى الغرور والتكبر والزهو بالنفس، وإخلاء الإنسان من هذه السمة يثبت العلم ويستبعد الجهل..

ومن الحذف في الموعظة قوله: ((إنَّ اللهَ جعلَ الدنيا دارَ بلوى، والآخرة دار عقبى، وجعلَ بلوى الدنيا لثواب الآخرة سببًا، وثواب الآخرةِ من بلوى الدنيا عوضًا))[٦٥] يتوزع الحذف مصحوبًا بالعطف في زوايا الموعظة ليربط المعاني الملقاة في حقل الموازنة بين الدنيا والآخرة في الثواب والعقاب فجاء الفعل (جعلَ) في النص مذكورًا مرتين وحذفه مرتين ليلفَّ النص برباطٍ محكم من المفاهيم والتوظيف النصي الذي عضَّدَ قوّة

الموعظة، فكان التعبير كما يأتي:

جعل الدنيا دار بلوى ← الفعل مذكور

و.....الآخرة دار عقبى ← محذوف

يجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سببا ← مذكور

و..... ثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضًا ← محذوف

فهناك تعويضٌ لبلاء الدنيا أراد أن يظهره الإمام في تأليف يحمل درجة عالية من الاندماج البنيوي الذي يكتنف رحمة الله في التعويض والإثابة.

المبحث الخامس: التماسك بالعطف

وهو من عناصر التماسك النحوي الذي يربط بين الجمل ويكوّن علاقة بينها تسهم في إدامة عملية التواصل وهذا يُعطي للكلام صفة النصية، وجاءت الجمل المعطوفة لتربط القضايا اللغوية، إذ يقول الإمام- عليه السلام-: ((من اتقى الله يتقى، ومن أطاع الله يُطاع، ومن أطاع الخالق لم يبال سخط المخلوقين، ومن أسخط الخالق فليتقنْ أنْ يحلَّ بهِ سخط المخلوقين))[٦٦] فقد عطف ثلاث جمل شرطية على الجملة الشرطية الأولى(من اتقى الله يتّقى) فزادت من ترابط جمل النص، وأدّى إلى ربط المعاني. وكذلك في قوله: ((إنَّ اللهَ جعل الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبى وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرةِ سببًا وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضا))[٦٧] فتعاون العطف مع التضاد لكشف المعنى.

وفي خاتمة البحث نخلص إلى أنّ عناصر التماسك النصي لها دور في ربط التراكيب والمعاني في مواعظ الإمام علي الهادي-عليه السلام- وكلمة دور تحمل معاني المكان والحركة والإحاطة وهذه المعاني المقرونة بعناصر التماسك أسهمت بفاعلية الربط والتأثير التي استعان بها صاحب المواعظ(الإمام الهادي-عليه السلام)

الهوامش:

١- ظ: كتاب العين: ٢/ ٢٢٨.

٢- ظ: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٣/ ١١٨١.

٣- ظ: تاج العروس: ٢٠/ ٢٨٩.

٤- المعجم الوسيط: ٢/ ١٠٣٤.

٥- اللسانيات، المجال، والوظيفة، والمنهج، استيتية: ٦٧٥.

٦- أعلام الدين: ٣١٢.

٧- تحف العقول: ٣٦١. و(الحَيَرُ) مخفف حائر من حار الماء فهو حائر: (ظ: لسان العرب: ٤/ ٢٢٣) والمراد أنّ الحائر الحسيني من هذه البقاع.

٨- تحف العقول: ٣٦٢.

٩- أعلام الدين: ٣١٣.

١٠- تحف العقول: ٣٦١.

١١- تحف العقول: ٣٦٢.

١٢- تحف العقول: ٣٦٢.

١٣- أعلام الدين: ٣١١.

١٤- أعلام الدين: ٣١٢.

١٥- تحف العقول: ٣٦٢.

١٦- أعلام الدين: ٣١١.

١٧- معجم المصطلحات الألسنية، مبارك مبارك: ٢٥.

١٨- ظ: معجم المصطلحات البلاغية: ١٦٧.

١٩- تحف العقول: ٣٦١.

٢٠- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ١/ ٥١١.

٢١- تحف العقول: ٣٦٢.

٢٢- بحار الأنوار: ٧٤/ ١٨٧.

٢٣- تحف العقول: ٣٦٢.

٢٤- المؤتمر الاستذكاري للشاعر مصطفى جمال الدين: ١٨٥.

٢٥- أعلام الدين في صفات المؤمنين: ٣١١.

٢٦- النقد التطبيقي، الجمالي واللغوي: ١٧٧.

٢٧- أعلام الدين في صفات المؤمنين: ٣١١.

٢٨- شعر عمر بن الفارض دراسة أسلوبية: ٧٤.

٢٩- موسوعة كلمات الإمام الهادي: ٣١١.

٣٠- المدخل إلى علم اللغة، كارل ديتربونتج: ٣٠٧.

٣١- موسوعة كلمات الإمام الهادي: ٣١٥.

٣٢- مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز: ٢٣٤.

٣٣- ظ: الصحاح: ٢/ ٨٠٤.

٣٤- الفروق اللغوية: ٣٩.

٣٥- المثل السائر: ٢/ ٢٨١.

٣٦- م. ن: ٣/ ٨.

٣٧- م. ن: ٣/ ٨.

٣٨- ظ: لسانيات النّص، محمد خطابي: ٣٩.

٣٩- cohesion in English: ٢٧٦- ٢٧٩. ولسانيات النص: ٢٣٧. وينظر: أثر التماسك النصي في تكوين الصورة البيانية: ٢٩٤.

٤٠- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نعمان بو قرة: ١٠٠.

٤١- ظ: في البلاغة العربية، سعد مصلوح: ٢٣٧-٢٣٨.

٤٢- أعلام الدين: ٣١١. وفرسٌ حرون لا ينقاد إذا اشتدَّ بهِ الجري وقف.

٤٣- الخصائص: ٣/ ١٠١.

٤٤- أعلام الدين: ٣١١.

٤٥- التجربة الابداعية، اسماعيل الملحم: ١٢.

٤٦- إعلام الدين: ٣١١.

٤٧- ظ: تاج العروس: ٣٩-٤٠/ ٥٢٤.

٤٨- تحف العقول: ٣٦٢.

٤٩- ظ:علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٦.

٥٠- تحف العقول: ٣٦٢.

٥١- م. ن: ٣٦٢.

٥٢- موسوعة كلام الهادي: ٣١١.

٥٣- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٩٠- ١٩١.

٥٤- في البلاغة العربية، سعد مصلوح: ٢٤٤.

٥٥- إعلام الدين: ٣١١.

٥٦- مدخل إلى علم النص، زتسيسلاف: ٤٩.

٥٧- أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش: ١١٣٦.

٥٨- ظ: الحذف والتقدير في الدراسة النحوية: ٥. وما بعدها.

٥٩- ظ: أثر التماسك النصي في تكوين الصورة البيانية: ٢٥٤.

٦٠- المصطلحات الأساسية، نعمان بوقرة: ١٠٦- ١٠٧.

٦١- ظ: لسانيات النص، محمد خطابي: ٢١.

٦٢- نحو النص، أحمد عفيفي: ١٢٥.

٦٣- إعلام الدين في صفات المؤمنين: ٣١٢.، حياة الإمام الهادي، محمد جواد المروجي: ٢٩٠.

٦٤- نزهة الناظر: ١٤٠.

٦٥- تحف العقول: ٣٦٢.

٦٦- تحف العقول: ٣٦١.

٦٧- تحف العقول: ٣٦٢.

المصادر والمراجع:

١- أثر التماسك النصي في تكوين الصورة البيانية ، شعر خالد الكاتب أنموذجاً، د. كاظم عنوز، دار ابن النفيس، الأردن، ط١-٢٠٢١.

٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، للبستي (محمد بن حبان بن أحمد ت:٣٥٤هـ)تحقيق:شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨-١٩٨٨.

٣- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس(نحو النص)، محمد الشاوش، جامعة منوبة - تونس، ط١ ، ١٤٢١-٢٠٠١.

٤- أعلام الدين في صفات المؤمنين، للديلمي(الحسن بن أبي الحسن، من أعلام القرن الثامن الهجري) تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم- إيران ، ١٤٠٨هـ.

٥- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت:١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣ - ١٩٨٣.

٦- تاج العروس من جوهر القاموس، للزبيدي (محمد مرتضى: ت-١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة محققين، مطبعة حكومة الكويت- الكويت، ط٢ ، ١٤٠٧- ١٩٨٧.

٧- تحف العقول عن آل الرسول، للحراني (أبي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، من أعلام القرن الرابع الهجري) قدَّم له محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٣- ١٩٦٣.

٨- الحذف والتقدير في الدراسة النحوية، د. عائد كريم الحريزي، مطبعة السراج المنير، النجف، ٢٠٠٩.

٩- حياة الإمام الهادي (عليه السلام)، محمد جواد المروجي الضبي، مؤسسة بوستان، ط٢، قم، ١٤٣٠.

١٠- الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت-٣٩٢هـ)، تحقيق : محمد علي النجار، المكتبة العلمية - مصر (د-ت).

١١- شعر عمر بن الفارض- دراسة أسلوبية، رمضان صادق، الهيأة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ١٩٩٨.

١٢- الصحاح ـ تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (إسماعيل بن حماد:ت-٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار، دار العلم للملايين - بيروت ، ط٤، ١٩٩٠.

١٣- علم لغة النص- المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار - القاهرة، ط٢، ١٤٣١- ٢٠١٠.

١٤- علم لغة النص- النظرية والتطبيق ، د. عزة شبل محمد ، مكتبة الآداب - القاهرة، ط١، ١٤٢٨- ٢٠٠٧.

١٥- الفروق اللغوية، للعسكري (أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل:ت-٣٩٥هـ)،تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة - القاهرة (د- ت).

١٦- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية- آفاق جديدة، د. سعد عبد العزيز مصلوح ، مجلس النشر العلمي - الكويت، ٢٠٠٣.

١٧- كتاب العين، للفراهيدي (الخليل بن أحمد:ت-١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال- بيروت (د- ت).

١٨- لسان العرب، لأبي الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري (محمد بن مكرم بن علي، ت: ٧١١هـ)، دار صادر -

١٩- ط ٣، بيروت - ١٤١٤هـ

٢٠- اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، د. سمير شريف استيتية، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط٢، ١٤٢٩- ٢٠٠٨.

٢١- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط٢، ٢٠٠٦.

٢٢- المثل السائر في أدب الكاتب

والشاعر(لضياء الدين بن الأثير:ت-٦٣٧هـ)، قدم له وعلق عليه: د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة ، دار نهضة مصر – القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٣.

٢٣- مدخل إلى علم اللغة، د. محمد حسن عبد العزيز، دار النمر للطباعة – القاهرة ،١٩٩١.

٢٤- المدخل إلى علم اللغة، كارل ديتربونتج، ترجمة وتعليق: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ١٤٣١-٢٠١٠.

٢٥- مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، زتسيسلاف واورزنياك، ترجمه وعلق عليه: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة ، ط٢، ٢٠١٠.

٢٦- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، د.نعمان بوقرة ، عالم الكتب الحديث – الأردن ، ط١ ، ١٤٢٩-٢٠٠٩.

٢٧- معجم المصطلحات الألسنية، د. مبارك المبارك، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١ -١٩٩٥.

٢٨- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، ٢٠٠٧.

٢٩- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة استانبول-تركية.

٣٠- موسوعة كلمات الإمام الهادي، إعداد لجنة الحديث في معهد باقر العلوم منظمة الاعلام الاسلامي، الشركة الدولية للطباعة والنشر مطبعة سبهر، طهران، ط١، ١٤٢٨-٢٠٠٧.

٣١- نحو النص- اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي ، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة ، ط١، ٢٠٠١.

٣٢- نزهة الناظر وتنبيه الخاطر

للحلواني (الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر من أعلام القرن الخامس) مطبعة مهر، قم، ط١، ١٤٠٨.

٣٣- النقد التطبيقي الجمالي واللغوي في القرن الرابع الهجري، د. أحمد بن عثمان رحماني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ١٤٢٩- ٢٠٠٨.

الأبحاث

١- صياغة الصورة الحسية ودلالاتها في قصيدة بغداد للشاعر مصطفى جمال الدين د. صباح عنوز ضمن كتاب المؤتمر الأدبي الاستذكاري للشاعر مصطفى جمال الدين في ١٥ / ١٢ / ٢٠٠٣ / جامعة الكوفة مركز دراسات الكوفة.

الشبكة العنكبوتية

١- التجربة الإبداعية، دراسة في سيكولوجية الاتصال والإبداع، إسماعيل الملحم، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق - ٢٠٠٣، موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت http://www.awu-dam.org